البعد الآيديولوجي في الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام
ولاية العهد أنموذجاً

الأستاذ الدكتور فضيلة عبوسي محسن العامري
قسم الفقه وأصوله ـ كلية الفقه ـ جامعة الكوفة
fadheela.mohsin@uokufa.edu.iq

The ideological dimension in the political life of Imam Al-Rida (peace be upon him) The mandate of the Covenant is a model

Prof. Dr. Fadila Abbousi Mohsen Al-Amri
Department of Jurisprudence and its Fundamentals, College of Jurisprudence, University of Kufa

الملخص:

إن الآيديولوجيا تعني مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة، والتفكير هو النظر في هذه الأفكار والخواطر، والنظر فيها مليًا، والتقابل بينها من أجل الوصول إلى نتيجة مرضية ومقنعة تعكس مصالحها واهتمامتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبررها في الوقت نفسه، حتى اطلقت الايديولوجيا في العصر الحديث على علم الاجتماع السياسي، وأما البعد الآيديلوجي فيعني المدى الذي يكون عليه الانسان في النظر إلى الأمور التي تحيط به ولها أثر في الأوضاع السياسية أو الأجتماعية أو الاقتصادية وغيرها.

ويتساءل البحث في مشكلته عن البعد الآيديولوجي في الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد أنموذجًا؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد من العودة إلى البيئة السياسية التي تولى فيه الإمام الرضا عليه السلام الولاية، فنبدأ بالمأمون العباسي، وما شهدته مدة حكمه من الاضطراب السياسي، والخوف على الخلافة حتى من أقرب الناس إليه إذ قتل أخاه الأمين، فلم يكتف بذلك إذ شعر أن هناك خطرًا يهدد خلافته سياسًا وفكريًا وثقافيًا وشرعيًا متمثلًا بشخصية الإمام الرضا عليه السلام فقدم على هذه الخطوة المبطنة ألا وهي إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، ومن أجل تسليط الضوء على البعد الآيديولوجي وموقف الإمام الرضا عليه السلام من هذه الخطة المبطنة، وأهدافها، ودواعيها فقد جاء البحث بعنوان (البعد الآيديولوجي في الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد أنموذجًا)، فهذا سبب اختيار البحث، وكانت فرضية البحث تتمركز حول ولاية العهد، وأما منهجية البحث فقد اعتمدت المنهج الوصفي الاستدلالي.

الكلمات المفتاحية: البعد الآيديولوجي، ولاية العهد، الإمام الرضا عليه السلام، الحياة السياسية، المأمون.

Abstract:-

Ideology means the set of opinions, ideas, beliefs and philosophies in which a people, nation, party or group believes. Thinking is to consider these ideas and thoughts, and consider them carefully, and contrast them in order to reach a satisfactory and convincing result that reflects their social, moral, religious, political, social and economic interests and concerns. And justify it at the same time, until ideology in the modern era was launched on political sociology, and as for the ideological dimension, it means the extent to which a person looks at the matters that surround him and have an impact on political, social or economic conditions and others.

The research in his problem asks about the ideological dimension in the political life of Imam al-Rida (peace be upon him) as the mandate of the covenant as a model? To answer this question, we must return to the political environment in which Imam al-Ridha (peace be upon him) assumed the mandate. The political, and the fear for the caliphate even from the closest people to him when he killed his trusted brother, he was not satisfied with that, as he felt that there was a danger threatening his caliphate politically, intellectually, culturally and legally, represented by the personality of Imam Al-Rida (peace be upon him), so he took this hidden step, which is to give the mandate of the covenant to Imam Al-Rida (And in order to shed light on the ideological dimension and the position of Imam al-Ridha (peace be upon him) regarding this hidden plan, its objectives, and its motives, the research came under the title (The Ideological Dimension in the Political Life of Imam al-Ridha (peace be upon him) the mandate of the Covenant as a model), and this is the reason for choosing The research hypothesis was centered around the mandate of the Covenant. As for the research methodology, it adopted the descriptive and inferential approach.

Key words: the ideological dimension, the mandate of the covenant, Imam al-Rida (peace be upon him), political life, al-Mamoun.

المقدمة:

إن الآيديولوجيا تعني مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة، والتفكير هو النظر في هذه الأفكار والخواطر، والنظر فيها مليًا، والتقابل بينها من أجل الوصول إلى نتيجة مرضية ومقنعة تعكس مصالحها واهتمامتها الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتبررها في الوقت نفسه، حتى اطلقت الايديولوجيا في العصر الحديث على علم الاجتماع السياسي، وأما البعد الآيديلوجي فيعني المدى الذي يكون عليه الانسان في النظر إلى الأمور التي تحيط به ولها أثر في الأوضاع السياسية أو الأجتماعية أو الاقتصادية وغيرها.

ويتساءل البحث في مشكلته عن البعد الآيديولوجي في الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد أنموذجًا؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد من العودة إلى البيئة السياسية التي تولى فيه الإمام الرضا عليه السلام الولاية، فنبدأ بالمأمون العباسي، وما شهدته مدة حكمه من الاضطراب السياسي، والخوف على الخلافة حتى من أقرب الناس إليه إذ قتل أخاه الأمين، فلم يكتف بذلك إذ شعر أن هناك خطرًا يهدد خلافته سياسًا وفكريًا وثقافيًا وشرعيًا متمثلًا بشخصية الإمام الرضا عليه السلام فقدم على هذه الخطوة المبطنة ألا وهي إعطاء ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، ومن أجل تسليط الضوء على البعد الآيديولوجي وموقف الإمام الرضا عليه السلام من هذه الخطة المبطنة، وأهدافها، ودواعيها فقد جاء البحث بعنوان (البعد الآيديولوجي في الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد أنموذجًا)، فهذا سبب اختيار البحث، وكانت فرضية البحث تتمركز حول ولاية العهد، وأما منهجية البحث فقد اعتمدت المنهج الوصفي الاستدلالي، وأما خطة البحث فقد تألفت من مقدمة، ومبحثين تناول الأول: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، وجاء المبحث الثاني بعنوان: البعد الآيديولوجي في موقف الإمام الرضا عليه السلام من ولاية العهد، وقد سبقهما تمهيد تضمن التعريف بالبعد الآيديولوجي، وولاية العهد في اللغة والاصطلاح، ثم جاءت الخاتمة مشفوعة بالمصادر والمراجع ومسبوقة بالهوامش.

التمهيد:

تحديد مصطلحات عنوان البحث في اللغة والاصطلاح

١- التعريف بالبعد الآيديولوجي في اللغة والاصطلاح

جاء البُعْدُ في اللغة[١] على معنيين: أحدهما: ضدّ القُرب، والثاني بمعنى اللعن، فيقال: بَعُدَ يَبْعُدُ بُعْداً فهو بَعِيدٌ. وباعَدْتُه مُباعدةً، وأَبْعَدَهُ الله: نحّاه عن الخير، وباعَدَ الله بينهما وبَعَّدَ، كما تقرأ هذه الآية ﴿رَبَّنا باعِدْ بين أسفارِنا﴾ سورة سبأ/١٩

والمباعدة: تباعد الشيء عن الشيء. والأَبْعَدُ ضدّ الأَقْرَبُ، والجمع: أقربون وأبعدون، وأباعد وأقارب. قال:

مـن النّـاس مـن يَغْشَـى الأباعـدَ نفعُـه ... ويشـقى بـه حـتى المماتِ أقاربُـهْ

وان يَـكُ خـيراً فالبعيـدُ ينالـه ... وان يَـكُ شـرًّا فـابنُ عمِّـكَ صـاحبُهْ

ويقرأ: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ سورة هود/٩٥ و (بَعُدَتْ ثَمُودُ). إلا أنّهم يقولون: بَعِدَ الرّجل، وأبعده الله. والبُعْدُ والبِعادُ أيضاً من اللّعن، كقولك: أبعده الله، أي: لا يرثى له مما نزل به، كما قال: بَعِدَت ثمود، ونصبه فقال: بُعْداً له لأنّه جعله مصدراً، ولم يجعله اسماً. وفي لغة تميم يرفعون، وفي لغة أهل الحجاز أيضاً.

ولاشك فيه مما تقدم أن البعد الذي يتعلق بالبحث هو الأول بمعنى تباعد الشيء عن الشيء ضد القرب؛ أي التخطيط على المدى البعيد في الجانب الايديولوجي.

أما الآيديولوجي في اللغة فهو منسوب إلى الآيديولوجية التي هي اسم مفرد والجمع أيديولوجيّات، وهي مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة[٢]، ومما يشار إليه أن المعجمات القديمة خلت من هذا المصطلح فهو مصطلح معاصر.

وأما الآيديولوجية في الاصطلاح فلها تعريفات عدة منها: إنها منهج في التفكير مبني على الافتراضات المترابطة والمعتقدات وتفسيرات الحركات أو السياسات الاجتماعية. وقد يكون محتواه دينيًا أو اقتصادياً أو سياسيًا أو فلسفيًا. وبعض الأيديولوجيات مثل الشيوعية والاشتراكية تُنسب إلى نُظم اقتصادية وسياسية. ومن الأيديولوجيات الأخرى الرأسمالية والديمقراطية والفاشية والمساواة بين الجنسين والاجتماعية والعنصرية والكاثوليكية الرومانية والشمولية أو الدكتاتورية. وفي الغالب، لا يعتمد أصحاب المذاهب، بصفة عامة، على معلومات حقيقية لدعم معتقداتهم. فمعظم الأشخاص الذين يعتنقون مذهبًا فكريًا معينًا

يرفضون ما سواه من المذاهب التي لها المضمون نفسه. وبالنسبة لهؤلاء الأشخاص، فإن النتائج التي قامت على مذهبهم الفكري، تبدو أنها الوحيدة المنطقية والصحيحة. وهكذا، فإن الأشخاص الذين يعتنقون مذهبًا فكريًا معينًا، يجدون صعوبة في التفاهم أو الاتصال مع مؤيدي النظرية المعارضة لهم[٣].

وأما اصل الكلمة (الآيديولوجيا) (Ideology) فهو منقول من "علم اللغة الفرنسية، إلى اللغة اليونانية القديمة"، مفهوم مركب من كلمتين "إيديا" idéa، بمعنى "فكرة" وكلمة "لوجوس" lógosالتي تعني "علوم التدريس"، الدارج بالعربية "منطق"ووفقاً للرؤية العالمية المعاصرة بـ "نظرية الأفكار". لكن مفهوم الأيديولوجيا كمصطلح حديث في علوم السياسة المعاصرة كما يبدو، قد استقى تعريفات عديدة، ألا أنه، الشكل الأكثر تكاملاً للافكار والمعتقدات والاتجاهات السياسية الكامنة في أنماط سلوكية معينة.

ويبدو ان مصطلح "أيديولوجيا" أو "أيديولوجيات" هو مفهوم مركزي، ولكنه في نفس الوقت مفهوم مثير للجدل ومتعدد الأوجه في علم السياسة، إنما محمل أيضاً بالعديد من الدلالات التي تم تطويرها في فرنسا ما بعد الثورة في ١٧٨٩ لتبرير الأفكار السياسية تاريخياً[٤].

ودراسة الأيديولوجيا تتطلب الجمع بين مدخلين محاولة الوصول لأنماط عامة بالمفهوم العلمي ومدخل دراسة المنحنى الخاص للظاهرة في تعيينها، أو بعبارة أخرى: دراسة الشكل الخاص للعلاقة بين البناء الفوقي والبناء التحتي وهي علاقة جدلية تبادلية التأثير، فكلا البنائين الفوقي والتّحتي يكتسب هويته المتعينة من خلال الآخر آخذاً في عين الاعتبار أن البناء التحتي ليس وجوداً مادياً فحسب بل وجوداً مادياً وحضارياً وفكريا. تعتبر عملية تحديد العوامل المكونة لأيديولوجية ما مسألة صعبة ولا تخلو من المجازفة[٥]، فيظهر مما تقدم أن الآيديولوجية لم تقتصر على الجانب المادي فحسب بل الجانب الفكري الذي له الدور الكبير في الحضارة والتقدم، وهذا سوف يبينه البحث من طريق العهد السياسي الذي اسند إلى الإمام الرضا عليه السلام على الرغم من عدم قناعته بما وكل اليه وقبله مكرهًا فقد كان الإمام الرضا عليه السلام من الفكر الآيديولوجي الذي يرسخ فيه الجانب الفكري في نشر معالم الدين الاسلامي الذي يتجسد في فكر أهل البيت عليهم السلام بين الشيعة وغيرهم من الأديان بدليل المناظرات التي أراد منها المأمون تعضيد موقعه السياسي وطلاء ملكه بالشرعية الزائفة له إلا

أن الإمام الرضا عليه السلام قد عزّز بناء الفكر الاسلامي الذي يتجسد في علوم أهل البيت عليهم السلام والإمام الرضا عليه السلام من تلك السلالة الطاهرة مما جعل الآخر يفكر في أحقية الإمام الرضا عليه السلام ليس بولاية العهد فحسب بل بالملك كلّه وأقلّه الخلافة ونتيجة لذلك وقع المأمون في مكره من إذ لا يدري بفضل البعد الآيديولوجي الذي امتلكه الإمام الرضا عليه السلام من غير عداوة أو بغضاء أو حقد أو عناء أو سفك الدماء كما صنع المأمون الذي قتل أخاه بل أقرب الناس منه وهذا ينم على البعد الآيديولوجي العقيم الذي أحاط بفكر المأمون المبني على الباطل والحقد الدفين لأهل البيت عليهم السلام الذي عهد من الآباء إلى الأبناء.

٢- التعريف بولاية العهد في اللغة والاصطلاح

ولاية العهد لفظ مركب تركيبًا اضافيًا يتألف من جزأين المضاف، والمضاف إليه، فالمضاف (الولاية) بفتح الواو وتكسر، وبالفتح النصرة والنسب والعتق، وبالكسر الأمارة. أو الفتح للمصدر، والكسر للاسم. - الأمارة، ومنه: عقدت الولاية لفلان - حق تنفيذ القول على غيره، شاء أو أبى، ومنه: - الولاية الخاصة: الولاية على أشخاص معينين - الولاية العامة: الولاية على أشخاص غير معينين، كولاية القاضي، وولاية أمير المؤمنين. - الولاية على المال: قيام كبير راشد على مال - الولاية على النفس: قيام كبير راشد على قاصر لتربيته - ولاية النكاح: النظر في أمر النكاح والإذن به أو منع الإذن[٦].

أما العهد وهو الجزء الثاني في المركب الاضافي فله في اللغة معان عدة[٧] منها:

إن العهد مصدر مشتق من الفعل الثلاثي (عهد) وعهد إليه في كذا: أوصى إليه به وعهد إليه في شيء، والشيء كذا: عرفه، وهو على عهده، والعهد: الموثق: اليمين يحلف بها الرجل: كل ما بين الناس من المواثيق: إن تعهد الرجل على حال أو في مكان. يقال: عهدي به في موضع كذا أو على حال كذا، والمنزل المعهود به الشيء، والتقدم إلى المرء في الشيء. ومنه: العهد الذي يكتب الولاة، ويسمى اليوم المرسوم، و الوفاء: رعاية الحرمة، والأمان: الذمة التي تعطى للمعاهد بشروط له وعليه، والضمان وهو العهدان والعهيدي: الحفاظ والجمع عهود "في الكل". الزمان. تقول: كان هذا على عهد فلان، وهو العهدان والعدان، والعهد أول المطر وهي دلالة حسية، والعهد: من يتعهد الأمور يحب الولايات والعهود.

وأما دلالة المركب الاضافي في اللغة (ولاية العهد) فأخذ من ولي العهد الذي يعني

المبايع للأمر والحكم بعد القائم به أي ولي الميثاق الذي يؤخذ على من يبايع الخليفة[٨]، ويسمى المرسوم في الوقت الحاضر.

يتبين مما تقدم أن الولاية على قسمين ولاية عامة وولاية خاصة؛ فكانت ولاية العهد التي اسندت كرهًا إلى الإمام الرضا عليه السلام في ظاهرها من الولاية العامة لكن في حقيقتها لم تكن كذلك نتيجة الشروط التي وضعها الإمام الرضا عليه السلام ((فلم تكن نظرة الإمام لولاية العهد أنها صادقة، ولم تك أحداثها مبررة، فما هي الا حجاب رقيق لمؤامرة تحاك بنودها في بلاط المأمون، لذلك نجد إلاّ ما غير متفائل بما حدث، ولا واثق بما أبرم))[٩].

المبحث الأول

أضواء على الحياة السياسية في عهد الإمام الرضا عليه السلام

من المعروف أن الأئمة عليهم السلام كانوا بعيدين عن معترك الحياة السياسية في ظل العهد العباسي؛ ولكن الحكومة القائمة آنذاك والمتمثلة بالمأمون أجبرت الإمام لإمام الرضا عليه السلام على الدخول في ولاية العهد كما صرح بذلك عليه السلام فقال قبلتها مكرهًا عليها، وبشروط وضعها على المأمون والأخير قبلها لغايات في نفسه سوف يبينها البحث، ولابد لنا قبل الولوج في خطط المأمون السياسية من التعريف بمحاور هذا المعترك السياسي الذي حاكته السلطة الغادرة آنذاك؛ فكان المحور الرئيس الذي تدور حوله كتائب بني العباس هو الإمام الرضا عليه السلام تلك الشخصية التي اسمت بالقوة والحكمة، والعلمية الواسعة والقدرة على المناظرة والمحاججة واقحام الآخر باسلوب علمي دقيق، فهو ثامن الأئمة الاثني عشر، الذين نص عليهم النبي صلى الله عليه وآله وكنيته: أبو الحسن. ومن ألقابه: الرضا، والصابر، والزكي، والولي. ونقش خاتمه: حسبي الله. وقيل: بل نقشه: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ. أي: في السنة نفسها التي توفي فيها[١٠]، وأما المحور الآخر فهو المأمون ويكفي بمعرفته بما أقّر به في رسالته التي بعثها وهو في مرو للعباسيين، بني أبيه في بغداد التي قال فيها واصفًا بني العباس، ومبينًا صفاتهم الخلقية الدنيئة من الخمر والدف والغناء، واتباع الشهوات غاياتهم بطونهم وفروجهم، ومعجبون بآثامهم كأنه حمد لهم - وهو منهم- إذ قال ((.. وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله، وتدبيره، إما مغن، أو ضارب دف، أو زامر. والله، لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا، فقيل لهم: لا تأنفوا من

معائب تنالوهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً، وصناعة وأخلاقاً، ليس منكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، تأنفون، ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من يبيت مركوباً، ويصبح بإثمه معجباً، كأنه قد اكتسب حمداً، غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب. أحب الناس إليه من زين له معصية أو أعانه في فاحشة، تنظفه المخمورة الخ))[١١]، وقد وصف السيد جعفر مرتضى العاملي رسالة المأمون بأنها الكلمة التي جمعت صفات بني العباس، فهذه حياتهم الخاصة وما فيها من رذائل وقبائح، يندى لها جبين الإنسان الحر ألماً وخجلاً، ويقطر قلبه لها دماً وألماً، فتلك حدث عنها ولا حرج ، وإذا كانت تلك هي سيرة العباسيين في حياتهم الخاصة، وتلك هي سياساتهم مع الناس ومع خصومهم، فماذا يمكن أن تكون حالة وزرائهم وقوادهم، وسائر رجال دولتهم؟!التاريخ وحده هو الذي يتولى الإجابة على هذا السؤال [١٢]، ولعل مايعكس سيرة المأمون السياسية هي قتل أخيه الأمين الذي تولى السلطة بعد أبيه الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة واستوى على عرش العباسيين[١٣]، وقد اضطربت الدولة العباسية في عهده اضطراباً مريعاً، إذ انقسم البيت العباسي على نفسه، فالرشيد أوصى للمأمون بعد الأمين، وها هو الأمين يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد، ويجعلها في ولده موسى- وهو طفل رضيع-، ثم بعث بعلي بن عيسى بن هامان لحرب المأمون ، بتشجيع واشارة من الفضل بن الربيع، حذراً من المأمون، وخوفًا على منصبه لو افضت الخلافة إلى المأمون[١٤]، وحينما بلغت الأنباء المأمون بخلعه ولحظ التأهب العسكري لحربه، بادر إلى خلع الأمين، وقطع عنه الخراج، واعلن نفسه اميراً للمؤمنين، وندب إلى قتال ابن ماهان طاهر بن الحسين الخزاعي، وهرثمة بن أعين، وجهزهما بجيش كبير، وبعدة ضخمة، والتقى الجيشان بالري، وكانت معركة دامية كبرى قتل فيها قائد جيش الأمين: علي بن عيسى بن هامان، واسر من اسر، وقتل من قتل، وانتهبت الأسلحة والذخائر، وكتب طاهر بن الحسين بالنصر إلى الفضل بن سهل وزير المأمون[١٥] قائلًا: ((كتبت إليك ورأس علي بن عيسى في حجري، وخاتمه في يدي، والحمد لله رب العالمين))[١٦]، ثم احتلت قوات المأمون بغداد، والأمين في منأى من الأحداث، بين زقّ وخمر وغيد ومعازف واصطياد السمك، وكان الهجوم النهائي عليه، فقتل شر قتلة، واحتز طاهر رأسه، ونصب على رمح، ثم بعث إلى المأمون، وكانت هذه الحقبة حاشدة بالكره السياسي والكيد بين الأخوين ، مما جعل

الإمام الرضا عليه السلام في معزل عن المتابعة من قبل الأمين، وفي منأى عن الاستفزاز والملاحقة، لانصراف الأمين وانهماكه في خلع المأمون وقتاله[١٧].

انتهى عهد الأمين، وبدأ عهد المأمون الذي اتخذ من (مرو) عاصمة للدولة، وبدا الفضل بن سهل ذو الرئاستين يشرف على تنظيم الدولة، ويترأس إدارتها السياسية والمالية، ويستولي على سؤون المأمون، ويقضي على خصومه ومنافسيه من القادة ورؤساء الجند ودعاة بني العباس، وولم يكن المأمون ضعيفًا ولا مغفلًا، بل كان شابًا حذرًا يقظًا، وقد ولد سنة مائة وسبعين من الهجرة ؛وتولى الحكم سنة ثمان وتسعين ومائة[١٨]، وقد وصف المأمون بالدبلوماسية والدهاء في التغلب على كثير من الأحداث الرهيبة التي كادت تؤدي بحياته مع ميله إلى اللهو، ولعبه بالشطرنج، وولعه بالموسيقى، وشربه الخمر، وكان الوزر من ذاتياته ونزعاته النفسية[١٩].

المأمون يستدعي الإمام الرضا ع كانت السنة العباسية تقضي بتعيين ولي للعهد حفاظًا على السلطان من التدهور أو الانتقال، وكان الزخم الشعبي مواكبًا في طلائعه لمبادئ أهل البيت عليهم السلام، وكانت جهة الرفض للسلطة تترسخ عمقًا، وكان الأفق في خراسان وما حولها من قصبات متموجًا بحب الثأر والقتال، وهناك من المعنيين من يعتصم بفكرة الحق الشرعي العلوي في الخلافة، وكان حب أهل البيت عليهم السلام يضفي طابعًا مخيفًا على المأمون، فكان عليه أن يحسن اختيار ولي العهد بدقة، فانطلقت الفكرة الفاصلة من صميم الأحداث، بأن ليس لولاية العهد إلا علي بن موسى الرضا عليه السلام ((فما كان من المأمون إلا أن يشمر عن ساعديه للتنفيذ، فوضع الإمام أولًا في قبضة الرقابة والارصاد، وشاء أن يستدعيه إليه وكتب إلى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان))[٢٠]، فاعتل عليه أبو الحسن عليه السلام بعلل كثيرة، فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم الرضا عليه السلام أن لا محيص له، وأنه لا يكف عنه[٢١]، وهنا أسباب أخرى جعلت من المأمون على ثقة من استمرار الخلافة في بني أبيه، إذ كان الإمام عليه السلام يكبره بـ ((٢٢)) سنة، وعليه فجعل ولاية العهد لرجل بينه، وبين الخليفة الفعلي هذا الفارق الكبير بالسن، لم يكن يشكل خطراً على الخلافة، إذ لم يكن من المعروف، ولا المألوف أن يعيش ولي العهد ـ وهو بهذه السن المتقدمة ـ لو فرض سلامته من الدسائس والمؤامرات!.. إلى ما بعد الخليفة الفعلي، فإن ذلك من الأمور التي يبعد احتمالها جداً، وقام بأعمال عدة منها[٢٢]:

أولاً: أقدم على نزع السواد شعار العباسيين، ولبس الخضرة شعار العلويين وكان يقول: إنه لباس أهل الجنة، حتى إذا ما انتهى دور هذه الظاهرة بوفاة الإمام الرضا عليه السلام وتمكنه هو من دخول بغداد عاد إلى لبس السواد شعار العباسيين، بعد ثمانية أيام فقط من وصوله، على حد قول أكثر المؤرخين، وقيل: بل بقي ثلاثة أشهر. نزع الخضرة رغم أن العباسيين، تابعوه، وأطاعوه في لبسها، وجعلوا يحرقون كل ملبوس يرونه من السواد، على ما صرح به في مآثر الإنافة، والبداية والنهاية، وغير ذلك.

ثانياً: ضرب النقود باسم الإمام الرضا عليه السلام.

ثالثاً: أقدم للسبب نفسه على تزويج الإمام الرضا عليه السلام ابنته، رغم أنها كانت بمثابة حفيدة له، إذ كان يكبرها الإمام عليه السلام بحوالي أربعين سنة. كما أنه زوج ابنته الأخرى للإمام الجواد عليه السلام الذي كان لا يزال صغيراً، أي ابن سبع سنين[٢٣]، وربما كان الهدف منه أن يجعل عليهما رقابة داخلية[٢٤]

أهداف المأمون من البيعة:

أجمل السيد العاملي[٢٥] أهداف المأمون من أخذ البيعة للرضا عليه السلام بولاية العهد بعده.. على النحو الآتي:

الهدف الأول: أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده من قبل تلك الشخصية الفذة، شخصية الإمام الرضا عليه السلام الذي كانت كتبه تنفذ في المشرق والمغرب، وكان الأرضى في الخاصة والعامة ـ باعتراف نفس المأمون ـ، إذ لا يعود باستطاعة الإمام عليه السلام أن يدعو الناس إلى الثورة ولا أن يأتي بأية حركة ضد الحكم، بعد أن أصبح هو ولي العهد فيه. ولسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها نكران للجميل، لا مبرر لها، ولا منطق يدعمها[٢٦].

وقد أشار المأمون إلى ذلك، عندما صرح بأنه: خشي إن ترك الإمام على حاله: أن ينفتق عليه منه ما لا يسده، ويأتي منه عليه ما لا يطيقه، فأراد أن يجعله ولي عهده ليكون دعاؤه له. كما سيأتي بيانه في فصل: مع بعض خطط المأمون إن شاء الله تعالى.

الهدف الثاني:

أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة، والواعية من قرب، من الداخل والخارج، وليمهد الطريق من ثم إلى القضاء عليها بأساليبه الخاصة. وقد أشرنا فيما سبق، إلى أننا لا نستبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو: أن يجعل عليه رقيبا داخليا موثوقا عنده هو، ويطمئن إليه الإمام نفسه(٢٧).

الهدف الثالث:

أن يجعل الإمام عليه السلام قريباً منه، ليتمكن من عزله عن الحياة الاجتماعية، وإبعاده عن الناس، وإبعاد الناس عنه، حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية، وبما منحه الله إياه من العلم، والعقل، والحكمة. ويريد أن يحد من ذلك النفوذ له، الذي كان يتزايد باستمرار، سواء في خراسان، أو في غيرها(٢٨).

وأيضاً.. أن لا يمارس الإمام أي نشاط لا يكون له هو دور رئيس فيه، وخصوصاً بالنسبة لرجال الدولة، إذ قد يتمكن الإمام عليه السلام من قلوبهم، ومن ثم من تدبير شيء ضد النظام القائم. دون أن يشعر أحد. والأهم من ذلك كله: أنه كان يريد عزل الإمام عليه السلام عن شيعته، ومواليه، وقطع صلاتهم به، وليقطع بذلك آمالهم، ويشتت شملهم، ويمنع الإمام من أن يصدر إليهم من أوامره، ما قد يكون له أثر كبير على مستقبل المأمون، وخلافته.

وبذلك يكون أيضاً قد مهد الطريق للقضاء على الإمام عليه السلام نهائياً، والتخلص منه بالطريقة المناسبة، وفي الوقت المناسب.

كما أن الرضا نفسه قد كتب في رسالته منه إلى أحمد بن محمد البيزنطي، يقول: ((وأما ما طلبت من الإذن علي، فإن الدخول إلى صعب، وهؤلاء قد ضيقوا علي في ذلك الآن، فلست تقدر الآن، وسيكون إن شاء الله.))(٢٩)

الهدف الرابع:

إن المأمون في نفس الوقت الذي يريد فيه أن يتخذ من الإمام مجناً يتقي به سخط الناس على بني العباس، ويحوط نفسه من نقمة الجمهور. يريد أيضاً، أن يستغل عاطفة الناس ومحبتهم لأهل البيت عليهم السلام - والتي زادت ونمت بعد الحالة التي خلفتها الحرب بينه وبين أخيه -

ويوظف ذلك في صالحه هو، وصالح الحكم العباسي بشكل عام[٣٠].

الهدف الخامس:

إنه كان يريد أن يقوي من دعائم حكمه، إذ أصبح الحكم يمتلك شخصية تعنو لها الجباه بالرضا والتسليم، ولقد كان الحكم بأمس الحاجة إلى شخصية من هذا القبيل. في مقابل أولئك المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسي، طلبا للشهرة، وطمعا بالمال، والذين لم يعد يخفى على أحد حالهم ومآلهم.. وعلى الأخص بعد أن رأى فشلهم في صد حملات علماء الملل الأخرى، والذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عندما رأوا ضعف الدولة، وتمزقها، وتفرقها إلى جماعات وأحزاب[٣١].

الهدف السادس:

إنه يكون في تلك الفترة المليئة بالقلاقل والثورات، قد أتى الأمة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجري، وما يحدث، وعن واقع المشاكل التي كان يعاني الحكم والأمة منها، وما أكثرها[٣٢].

الهدف السابع:

كان المأمون يدعي: أن جميع تصرفاته، وأعماله، لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للأمة، ومصلحة المسلمين، وحتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، والرياسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، والمصلحة العامة[٣٣].

الهدف الثامن:

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، والبيعة له بولاية العهد ـ التي كان يتوقعها ـ: أن أخمد ثورات العلويين في جميع الولايات والأمصار. ولعله لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون ـ بعد البيعة للرضا، سوى ثورة عبد الرحمان بن أحمد في اليمن. وكان سببها ـ باتفاق المؤرخين ـ هو فقط: ظلم الولاة وجورهم، وقد رجع إلى الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه فضلًا على ذلك حصل على ثقة بعضهم فبايعوه، ومن أشياعهم من لم يكن بعد قد بايعه، وهم قسم كبير جداً، بل لقد بايعه أكثر المسلمين، ودانوا له بالطاعة، بعد أن كانوا مخالفين له ممتنعين عن بيعته[٣٤].

المبحث الثاني

البعد الايديولوجي في قبول ولاية العهد

عندما انتصر المأمون على اخيه الامين ، فانه اضفى على الحكم العباسي المتوكئ اساسا على الخراسانيين طابعا خراسانيا اكثر من ذي قبل و كانت حكومة الامين تقوم على العناصر العربية المرغوبة عند البيت العباسي اما حكومة المأمون فليست كذلك ،و هذا سر ضعفها، مما دفعها إلى التفكير بالحصول على قاعدة اخرى ، تستطيع من خلالها ان تكسب ود الناس الذين كانوا يميلون إلى العلويين ، و تستخدمها وسيلة لاخماد الصيحات التي تعالت من اناس ثاروا إلى جانب العلويين(٣٥).

يقول ابن خلدون: و كان سواد الشيعة موجبا لدعوة علي بن موسى الرضا لولاية العهد من هذا المنطلق دعا المأمون الإمام إلى خراسان و كان قدوم الإمام و قبوله دعوة المأمون إلى الخلافة او ولاية العهد يمثلان تاييداً للمامون و هذا احد الاهداف الخطيرة التي كان يتوخاها المأمون من ورا هذه الخطوة(٣٦).

أمّا الإمام عليه السلام فقد رفض دعوة المأمون لذلك تحول الحاح المأمون إلى تهديد وأخيراً ارغم الإمام على التوجه تلقا مرو بعد تهديدات كثيرة تلا ذلك قبوله ولاية العهد بعد شروط اشترطها على المأمون ، اهمها ان لا يتحمل اي مسؤولية حيال الاعمال المختلفة في الدولة و قال في بعضها: ((اني داخل في ولاية العهد على ان لا آمر ولا انهى، ولا افتي ولا اقضي، ولا اولي ولا اعزل، و لا اغير شيئا مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله، و هذا الموقف الذي سجله الإمام - عليه السلام - افضى إلى بقا الانتفاضات العلوية في جذوتها و لذلك صرح البعض ((ان ولاية العهد لم تثمر في اطفاء لهيب الانتفاضات العلوية))(٣٧).

إن دعوة الإمام إلى مرو عاصمة الحكم العباسي آنذاك دليل على ميل تلك الحاضرة إلى التشيع(٣٨).

وأصدر المأمون اوامره بجلب الإمام عن طريق البصرة ، فالاهواز، ففارس ، ومنها إلى خراسان ، لئلا يمر بالمناطق الشيعية فيتصل بشيعته فيها و تلقى رجا بن ابي الضحاك امران لا يجلب الإمام عن طريق الكوفة وجاء في بعض المصادر ان الإمام اتي به عن طريق قم

وهذا غير صحيح، اذ ورد في كتاب عيون اخبار الرضا ان المأمون كتب إلى الرجا بصراحة قائلا: ((لا تاخذ على طريق الكوفة و قم.

واستطاع الإمام ـ عليه السلام ـ ان يتصل بمحبي اهل البيت عليهم السلام في طريقه إلى مرو وكانت نيسابور اكثر المناطق ازدحاما اذ اجتمع فيها من الناس ما لم يجتمع في غيرها لاستقبال الإمام وكان بينهم عدد من علما السنة مثل ابي زرعة الرازي ، وطلبوا من الإمام ان يحدثهم و جا في ينابيع المودة أن الإمام اقام بنيسابور اياما، ثم خرج يريد بلدة مروشاهجان، فعرض له ابو زرعة الرازي ، ومحمد بن اسلم الطوسي ومعهم من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى فتضرعا اليه ان يريهم وجهه الشريف المكرم المبارك ويروي لهم حديثا عن آبائه الكرام فاستوقف البغلة ، وامر غلمانه بكشف المظلة فاقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة ، والناس بين صارخ وباك ، فصاحت العلما: معاشر الناس، انصتوا فحدثهم عن آبائه قائلا ((كلمة لا اله الا اللّه حصني فمن دخل حصني امن من عذابي))[٣٩] فشرع الناس كلهم يكتبون ، فقال لهم بعد هنيئة: ((الا بشروطها، وانا من شروطها))[٤٠].

اي: ان الاقرار بامامتي من شروطها و هذا الموضوع هو قوام الفكر الشيعي فقبول امامته والانقياد إلى ولايته بعد التوحيد شرطان للنجاح والفلاح من منظار التشيع.

وكانت غاية الإمام ـ عليه السلام ـ من عمله هذا ان يجعل الحب الذي يبديه الناس للعلويين هادفا، و يستبدل التشيع العقيدي بالتشيع الناتج عن حب اهل البيت عليهم السلام حبا سطحياً مجردا[٤١].

وبعد ذلك ، كان وجود الإمام في خراسان باعثا على معرفة الناس شخصيته اكثر فاكثر بوصفه امام الشيعة و لذلك كان عدد انصار التشيع يزداد على كرور الايام و كانت منزلة الإمام العلمية اهم باعث على اتساع نطاق التشيع لا سيما ان الاسس الفكرية للشيعة قد تميزت عن غيرها آنذاك و طبيعيا فان مرجعية الإمام العلمية كانت تحمل في تضاعيفها اتساعا لدائرة الفكر الشيعي ينقل رجا بن ابي الضحاك ـ الذي تولى اشخاص الإمام ـ عما حدث لهم في الطريق فيقول في بعض كلامه: ((و كان ـ عليه السلام ـ لا ينزل بلدا الا قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم فيجيبهم و يحدثهم الكثير عن ابيه ، عن آبائه ، عن علي عليه السلام ـ عن رسول اللّه ـ صلى الله عليه وآله))[٤٢]، فقال المأمون لابن أبي الضحاك: ((بلى يا ابن أبي الضحاك هذا

خير أهل الارض، وأعلمهم وأعبدهم، فلا تخبر أحدا بما شهدت منه لئلا يظهر فضله إلا على لساني وبالله أستعين على ما أقوى من الرفع منه والاساءة به))[٤٣]

وكل من كان عارفا بنقل الرواية عن طريق الائمة - عليهم السلام - يعلم ان تركيزهم على طريق آبائهم افضل معلم لاتساع الفكر الشيعي اذ هو الطريق الذي تنقل فيه الاحاديث عبر اهل البيت عليهم السلام و لا يستعان باحد الرواة في سلسلة السند و هذا السند مشهور بين رواة الحديث بسلسلة الذهب.

لقد وضع المأمون نفسه بين فكي كماشة، عندما ولّى الإمام الرضا عليه السلام العهد، حيث إنّ قصده الذي امله من وراء هذه العملية، كان امتصاص السخط الجماهيري، ولكن الإمام وعندما اصبح يشغل هذا المنصب، اثبت ان الخلافة الشرعية هي له، لا للمأمون الذي لا يعد حتى تلميذاً من تلاميذته. فكان على المأمون نقض هذه الحقيقة الموضوعية وذلك عن طريق جلب العلماء والفقهاء والمتكلمين حتى من غير المسلمين، لكي ينكفئ الإمام عن اجابتهم ولم لمرة واحدة، فيشاع عن الإمام ذلك. ولكن الإمام زاد من نقاط نجاح اهدافه[٤٤].

أسباب قبول الإمام الرضا ولاية العهد:

لما بويع للرضا عليه السلام بالعهد، اجتمع الناس إليه يهنئونه، فأومأ بيده، فأنصفوا، قال بعد ان استمع كلامهم: بسم الله الرحمن الرحيم ((الحمد لله الفعال، لما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور، وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين. اقول وانا علي الرضا بن موسى بن جعفر، إن امير المؤمنين عضده الله بالسداد، ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره... وإنه جعل إلى عهده والإمرة الكبرى ان بقيت بعده، فمن حل عقدة امر الله بشدها وفصم عروة احب الله إيثاقها، فقد أباح حريمه، واحل محرمه، إذ كان بذلك زاريا على الإمام منتهكا حرمة الاسلام بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات، ولم يعترض بعدها على العزمات، خوفا من شتات الدين، واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تنتهز وبائقة تبتدر، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن الحكم الا لله، يقصّ الخف، وهو خير الفاصلين))[٤٥]، ويبدو الخوف من الغدر والخيانة واضحاً في خطاب الإمام الرضا عليه السلام فضلًا على ذلك أنه عليه السلام قد أشار إلى مابتلي به أمير المؤمنين عليه السلام، وصبره على فلتة البيعة لسواه،

واقاؤه الأمور على رسلها، لقرب الناس بالجاهلية، فكان عليه السلام يتوجس من عدم تمامية هذه البيعة، وظلت مشاعره مترددة في صدق نوايا المأمون ، وهو يقبض على الحكم بيد من حديد الذي جعل منه يقتل أخاه الأمين ويحمل رأسه في طبق من ذهب(٤٦).

أما المأمون فقد بيّن للعباسيين طبيعة الهدف وجوهر المؤامرة في البيعة للإمام الرضا عليه السلام إذ كتب اليهم قائلًا(٤٧): ((كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى بعد استحقاق منه لها في نفسه واختيار مني له، فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب، ومواساتهم بالفيئ بيسير ما يصيبهم منه، وإن تزعموا أني أردت أن يؤول

إليهم عاقبة ومنفعة فإني في تدبيركم، والنظر لكم ولعقبكم وأبنائكم من بعدكم، وأنتم: ساهون، لاهون تائهون في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم، وما أظللتم عليه من النقمة، وابتزاز النعمة، همة أحدكم أن يمسي مركوبًا، ويصبح مخمورا، تباهون بالمعاصي، وتبتهجون بها، وآلهتكم البرابط، مختثون مؤنثون، لا يتفكر متفكر منكم في إصلاح معيشة، ولا استدامة نعمة، ولا اصطناع مكرمة، ولا كسب حسنة يمد بها عنقه يوم لا ينفع مال وبنون إلا من أتى الله بقلب سليم. أضعتم الصلاة، واتبعتم الشهوات، وأكببتم على اللذات وأعرضتم عن الغنيمات فسوف تلقون غيا، وأيم الله لربما أفكر في أمركم، فلا أجد أمة من الأمم استحقوا العذاب حتى نزل بهم لخلة من الخلال إلا أصيب تلك الخلة بعينها فيكم...)) ويتضح من هذا الكتاب نوايا المأمون التي تخطط للحفاظ على الخلافة في بني العباس فقد اراد من هذه البيعة حقن دماء بني العباس من الثورات التي تحتدم في البلاد باظهار المودة لأهل البيت عليهم السلام خداعًا، وان ما يقوم به هو عملية تدبيرية لاستمرار الحكم في بني العباس بقطع الألسن، واخماد شعلة الثورة لدى العلويين، ثم بيّن الحال التي كان عليها العباسيون في الانغماس في الملذات والشهوات ، واللهو والفساد، يتباهون بالمعاصي، مختثون مؤنثون، لا تفكير لهم في اصلاح معيشة، أو استدامة نعمة، أو نيل مكرمة وكسب حسنة ((وبذلك عراهم عن صفات الدين والعقل والرجولة وشمائل الأحرار، أما هو فالساهر بمصالحهم وهم في غفلة، والمدبر لشؤونهم وهم في حالة من فقدان الوعي))(٤٨)، ومن هنا يتضح البعد الفكر للمأمون في التخطيط لمنح ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ؛ ولكنه من إذ لا يدري فقد شهّر بالعباسيين وفضح سوء، خلقهم، ومجونهم وظلمهم، وطغيانهم،

وأوحى إلى هدفه المنشود وهو الحفاظ على الخلافة مختصبة في صلب العباسيين على الرغم من عدم أهليتهم لذلك ((والمأمون بهذا يصرح بأنه دائب في تطوير الأزمات، أراد ايقاظهم من السبات، بهذا اللوم والتقريع، فهو يريد الابقاء عليهم، والسيطرة لهم على عرش الخلافة، وسد المنافذ بين يدي العلويين))[٤٩]، ونتيجة مما تقدم يتجلى لنا أن المأمون أراد من اعطاء ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام هو تحقيق البعد الآيديولوجي المادي والفكري، المادي المتمثل بالخلافة واضفاء الشرعية عليها، والبعد الفكري في اقناع العالم بأنه محب لأهل البيت عليهم السلام لذا قربهم وجعلهم في منصب ادارة الدولة وهي ولاية العهد ؛فأراد أن يجعل من قرب الإمام الرضا عليه السلام لمايتمع به من مكانة اجتماعية ودينية وعقلية وفكرية غطاءً فكريًا يضفي الشرعية لخلافته مما يصونها من الثورات والمعارضات هنا وهناك ولكنّ المأمون فشل ((في خطته كلّها، إلا جزءاً يسيراً في توقف السعير الثوري، ولكنه لم يستطع إسكات العلويين، ولم يتمكن من الظفر بتأييد الأمة مطلقًا، ولم يحصل على ثقة الإمام الرضا، ولا استدراك شرعية خلافته، ولا وضع من الإمام الرضا قليلًا قليلًا على حد تعبيره، بل ازداد وهج الإمام لمعانًا، ولهجت بذكره محافل العلماء واندية المتكلمين، وذاعت شهرته في الآفاق، وامتزج حبّه في قلوب الناس، وعاد حديث الأمة في ورعه وحسن تأتيه للأمور، فحدبت عليه الأفئدة والعقول))[٥٠].

إن منطق الاحداث كان يفرض على الإمام علي بن موسى عليه السلام ان يقبل ولاية العهد لعدة أسباب[٥١]:

السبب الاول: اذا لم يقبل الإمام ولاية العهد لكانت الامة الاسلامية تقول بان الائمة (عليهم الصلاة والسلام) ما كانوا يريدون الحكم لان امام المسلمين الشرعي الإمام الرضا عليه السلام، لم يقبل ولاية العهد، ولكانت فكرة ان الدين شيء والدولة شيء آخر، والاسلام لا يقبل بدمج الدين مع الدولة، وانه يجب ان تكون في الامة الاسلامية امامة روحية فقط، وهذه من حق اولاد الإمام علي وفاطمة، من الائمة المعصومين عليهم السلام وهي مفصلة تماماً عن السلطة السياسية التي هي من حق الذي يكون مسيطراً على الناس سياسياً، لكانت الفكرة قد ترسخت وبالتالي كانت الامة تحيى فكرة (ما لله لله وما لقيصر لقيصر).

فالإمام عليه السلام إنما اراد نسف هذه الفكرة عمليا، وسد الطريق امام من يريدون نشر هذه

الفكرة واشاعتها، وذلك بقبوله ولاية العهد.

السبب الثاني: ان طريقة الائمة عليهم السلام لم يكونوا يريدون ان يجبروا الناس على رأي معين.

وقد قلنا بان الائمة (عليهم الصلاة والسلام) كانوا يريدون رفع مستوى وعي الامة حتى تستطيع بنفسها ان تستلم الاوضاع.

فلذلك كان الائمة عليهم السلام يستفيدون من كافة الاوضاع حتى من الحكم، لاجل هذه الغاية. فحينما عرض عليهم ان يكونوا داخل الحكم، ويستفيدون من الحرية ونوع من الرخاء، وينشرون مذهبهم وافكارهم الرسالية في الامة دون ان يعطوا امتيازات للحكم، ودون ان يؤيدوه وهذا الشيء هو الذي نوّه إليه المأمون عندما انقلبت الآية عليه: " والان قد فعلنا به ما فعلنا واخطأنا في أمره بما اخطأنا واشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما اشرفنا، فليس يجوز التهاون في امره، ولكنا نحتاج ان نضع منه قليلا قليلا حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الامر ثم ندبّر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه ". فالنتائج أتت معكوسة على المأمون.

السبب الثالث: وهو ان الإمام الرضا عليه السلام كان يريد اسقاط ادلة المأمون العباسي الذي كان يريد ان يسقط الائمة عليهم السلام وبالتالي يمتص الحركة الرسالية، وكان يستخدم طريقة معينة وهي المجيء بالإمام الرضا، فاذا نفع فقد حقق اهدافه، واذا لم ينفع فانه ياتي بواحد من اولاد الائمة كمحمد بن جعفر او اسحاق بن موسى، او أي واحد من اولاد الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ويضعه في منصب ولي العهد، ويقول للمسلمين: يا مسلمين ان كنتم تريدون حاكما من البيت العلوي فهذا هو دونكم. ومن المعروف ان عامة الناس باستثناء القليل منهم لا يمتلكون الوعي الكافي حتى يميزون بين الإمام الحقيقي الشرعي وبين الإمام المزيف. فاكثر الناس ينظرون إلى الاسماء دون ان يفكروا في نوعية الانسان أي في الإمام المنصوص عليه، فهناك علوي وهو: الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وعلوي آخر وهو: علي بن اسماعيل والذي حسب بعض الاقوال كان هو الواشي بالإمام موسى بن جعفر، والمشارك في قتله.

فقد روى عن الريان قال: ((دخلت على علي بن موسى عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله ان الناس يقولون انك قبلت ولاية العهد مع اظهارك الزهد في الدنيا "؟ فقال الإمام عليه السلام: " قد

علم الله كراهتي لذلك، فلما خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت القبول على القتل، ويحهم اما علموا ان يوسف عليه السلام كان نبيا ورسولا فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز، قال له: " اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم " ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على اكراه واجبار بعد الاشراف على الهلاك على اني ما دخلت في هذا الامر الا دخول الخارج منه فالى الله المشتكى وهو المستعان))[٥٢]؛ وهنا دلالة جلية تبرهن على ان الائمة المعصومين عليهم السلام ظلوا ابداً قادة الحركة الرسالية في التاريخ، بل وللامة الاسلامية قاطبة حيث إن السلطات ارادت الائتلاف مع من تركن اليه وتطمئن اليه جميع الامة الاسلامية. ولكي لا يقوم المأمون العباسي بمثل هذه العملية، قبل الإمام عليه السلام بولاية العهد[٥٣].

الخاتمة ونتائج البحث:

١- إن الإمام الرضا عليه السلام قبل ولاية العهد مكرهًا بصريح العبارة التي أخبر بها محبيه مقارنًا عليه السلام ذلك بقبول النبي يوسف عليه السلام تولي خزائن العزيز مع كونه نبيًا رسولًا.

٢- إن الإمام الرضا عليه السلام بقبول الولاية درأ القتل عن نفسه، لحاجة الشريعة الاسلامية إليه عامة، وحاجة الشيعة إليه خاصة في ذلك الوقت، فلو قدّر ولم يقبل الإمام لقتله المأمون، ولم يتم ما قام به الإمام عليه السلام من نشر علوم ومعارف أهل البيت عليهم السلام، ويتضح ذلك في كثير من المناظرات التي عقدت بينه وبين غيره من العلماء باشراف المأمون التي أراد من ورائها الإطاحة بعلمية الإمام الرضا عليه السلام أمام الآخر لكنّ الأمر انقلب عليه بل أكثر من ذلك اصبحت الناس تنادي لما رأته منه هيبة الإمام الرضا عليه السلام، وسمو خلقه، وسعة علمه، ووقاره بأحقيته ليس بولاية العهد فحسب بل أحقيته بالخلافة، ومن هنا يظهر لنا البعد الآيديولوجي في الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام في قبول ولاية العهد مكرهًا مجبراً في درء القتل عنه، ورفع هلاك النفس عند الضرورة.

٣- بيّن الإمام الرضا عليه السلام لمحبيه وسائليه أن دخوله في هذا الأمر إلا دخول خارج منه، وعند التأمل في عبارته نجده قد اعطى النتيجة بالخروج باستعمال الحصر (إلا) وتكرار (دخول) محددة بالوصف (خارج) فقد خصص الدخول بالخروج، ولكن ترك الخروج مطلقًا لعله عليه السلام يشير إلى النتيجة الحتمية العدائية للعباسيين ومنهجهم

المبطن لأهل البيت عليهم السلام ألا وهو القتل لامحالة، ويدل على ذلك استشهاده عليه السلام مسمومًا على يد المأمون (لعنه الله)

٤- إن المأمون قد اختار لولاية عهده رجلاً يحظى بالاحترام والتقدير من جميع الفئات والطبقات، وله من النفوذ، والكلمة المسموعة، ما لم يكن لكل أحد سواه في ذلك الحين. بل لقد كان كثير من الناس يرون: أن الخلافة حق له، وينظرون إلى الهيأة الحاكمة على أنها ظالمة له وغاصبة لذلك الحق.

٥- أراد المأمون التقرب من الإمام الرضا عليه السلام في الظاهر، وهو يكن له العداوة البغضاء في الباطن، فقربه وجعله وليًا لعهده، وزوجه أبنته، ليجعله مراقبًا من الداخل والخارج ومن ثم يمهد للقضاء عليه بأساليبه الغدارة.

٦- أراد المأمون أن يجعل الإمام الرضا عليه السلام مجنًا له للحماية من سخط الناس عليه وعلى بني العباس، ويحوط نفسه من نقمة الجماهير عليه مستغلًا بذلك عاطفة الناس ومحبتهم لأهل البيت عليهم السلام، وفي الوقت نفسه أراد أن يخمد جميع ثورات العلويين في الولايات والأمصار، ولكن النتيجة كانت معكوسة فقد علا شأن الإمام الرضا عليه السلام بين الناس وكثر محبيه، وزاد وعي الناس في احقيتهم بالولاية المختصبة، وعرف مدى علمهم وثقافتهم، مقابل ذلك انشق مقربو المأمون إلى شعوب وقبائل من بين مؤيد ومعارض له على الرغم من كون المأمون لم يترك طريقًا في الخديعة إلا وسلكه منها تغيير شعار العباسيين من الأسود إلى الأخضر، وسك النقود باسم علي بن موسى الرضا عليهما السلام ؛ولكنه فشل وإن قتل الإمام الرضا عليه السلام فقد بقي الحق ناصعًا، وخفي ذكر المأمون، وبقي مقام علي بن موسى الرضا عليهما السلام يقصده الداني والقاصي من كل صوب ؛فالسلام عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيًا.

٧- إن الإمام الرضا عليه السلام استفاد من فرصة توليه العهد في نشر المذهب الرسالي وتوعية الناس وتعريفه بالإمام الحق بين الناس، من دون ان يعترف بالنظام او يخضع له.

هوامش البحث

(١) العين، الخليل: ٩٧/١، وينظر: الصحاح، الجوهري: ٤٧/١
(٢) ينظر: معجم المعاني الجامع، مروان العطية من موقعه في الانترنت
(٣) الموسوعة العربية العالمية، دائرة المعارف العالمية: ١٣٥/١
(٤) ينظر: البعد الآيديولوجي بين مفهوم الدولة والبعد السياسي: عصام الياسري(مقال)
(٥) ينظر: تأثير الآيديلوجية على المجتمعات، ماجد أحمد الزاملي، العدد ٥٨٥٤، الحوار المتمدن(مقال)
(٦) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعهجي: ٦٦٧
(٧) معجم متن اللغة، أحمد رضا: ٤/ ٢٣١
(٨) معجم متن اللغة، أحمد رضا: ٤/ ٢٣١
(٩) الإمام علي الرضا عليه الاسلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٢٧٨
(١٠) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٠
(١١) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٨/١٠
(١٢) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٨/١٠
(١٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٤٩٨
(١٤) ينظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ١٣٨/١٥
(١٥) ينظر: الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٢٣٧
(١٦) مروج الذهب، المسعودي: ٣١٠/٣
(١٧) ينظر: الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٢٣٨
(١٨) ينظر: مروج الذهب، المسعودي: ٣٢٨/٣، وينظر: الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٢٤٢
(١٩) ينظر: حياة علي بن موسى الرضا عليه السلام، باقر شريف القرشي: ٢٤٢/٢-٢٤٣
(٢٠) الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٢٥٧
(٢١) ينظر: الكافي، الكليني: ٤٨٨/١
(٢٢) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٣/١٥
(٢٣) ينظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤٤١/٣
(٢٤) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٤/١٥
(٢٥) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٢٦) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٢٧) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٢٨) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥

(٢٩)تنقيح المقال في أحوال الرجال، المامقاني : ١ / ٧٩، وعيون أخبار الرضا: ٢ / ٢١٢
(٣٠) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٣١) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٣٢) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٣٣) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٣٤) ينظر: الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، جعفر مرتضى العاملي: ٧/١٥
(٣٥) ينظر: الشيعة في ايران، رسول جعفريان: ٥/٩
(٣٦) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: ٨٠/١
(٣٧) ينظر: الشيعة في ايران، رسول جعفريان: ٥/٩
(٣٨) ينظر: الشيعة في ايران، رسول جعفريان: ٦/٩
(٣٩) الامالي، الطوسي: ٣١٦/١، الحياة السياسية للإمام الرضا ع دراسة وتحليل، جعفر العاملي: ٦/١١
(٤٠) مسند الإمام الرضا ع، الشيخ عزيز الله عطاردي: ٢٣٥/١، ميزان الحكمة، الريشهري: ٥٩/٢
(٤١) ينظر: الشيعة في ايران، رسول جعفريان: ٧/٩
(٤٢) مسند الإمام الرضا ع، الشيخ عزيز الله عطاردي: ٢٣٥/١، ميزان الحكمة، الريشهري: ٤٣/١
(٤٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٩٥/٤٩
(٤٤) ينظر: التاريخ الاسلامي دروس وعبر، محمد تقي المدرسي: ٢٢٦
(٤٥) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١٤٦، وينظر: بحار الأنوار، المجلسي: ١٤١/٤٩
(٤٦) ينظر: الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٢٧٨
(٤٧) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس : ٢٨٠ - ٢٨٦
(٤٨) الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٣٢٣
(٤٩)الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين الصغير: ٣٢٤
(٥٠) الإمام الرضا تاريخ ودراسة، محمد جواد فضل الله: ١١٦
(٥١) ينظر: التاريخ الاسلامي دروس وعبر، محمد تقي المدرسي: ٢٦٠
(٥٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٥٠/١- ١٥١
(٥٣) التاريخ الاسلامي دروس وعبر، محمد تقي المدرسي: ٢٦٢.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأمالي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تحقيق: يهراد الجعفري، علي أكبر غفاري، ط١، دار الكتب الاسلامية.

٢. الإمام الرضا تاريخ ودراسة: محمد جواد فضل الله، ط١، دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٧م.

٣. الإمام علي الرضا عليه السلام قيادة الأمة وولاية العهد: محمد حسين الصغير، ط١، العتبة العلوية المقدسة، مؤسسة البلاغ، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

٤. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٥. البعد الآيديولوجي بين مفهوم الدولة والبعد السياسي: عصام الياسري(مقال)

٦. تأثير الآيديلوجية على المجتمعات، ماجد أحمد الزاملي، العدد ٥٨٥٤، الحوار المتمدن(مقال)

٧. التاريخ الاسلامي دروس وعبر: محمد تقي المدرسي، ط٧، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٨. تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٩. تنقيح المقال في أحوال الرجال: عبد الله المامقاني، النجف، المطبعة المرتضوية، ١٣٤٩ه- ١٩٣٠م.

١٠. الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام دراسة وتحليل: جعفر مرتضى الحسيني العاملي، مؤسسة النشر الإسلامي.

١١. حياة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام دراسة وتحليل: باقر شريف القريشي، دار المرتضى، بيروت، ١٩٦٦م.

١٢. الشيعة في ايران، دراسة تاريخية، من البداية حتى القرن التاسع الهجري: الشيخ رسول جعفريان، تعريب: الدكتور علي هاشم الأسدي(د.ت، د.ط).

١٣. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس، ط١، مطبعة الخيام، ١٤٠٠هـ.

١٤. عيون أخبار الرضا: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، تصحيح: مهدي الحسيني اللاجوردي، دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ.

١٥. الكافي: الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٥، ١٣٦٣ش.

١٦. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٧. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٨. مسند الإمام الرضا عليه السلام: الشيخ عزيز الله عطاردي، تحقيق: تجميع وترتيب: الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني، ربيع الآخر، ١٤٠٦ه.

١٩. معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي، ضبطه حامد صادق قنيبي، قطب مصطفى ثائر -صدر: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٠. معجم متن اللغة-أحمد رضا-صدر: ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م

٢١. مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، ط٤، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م.

٢٣. الموسوعة العربية العالمية: أول وأضخم عمل من نوعه وحجمه ومنهجه في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية. عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International وشارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية.

٢٤. ميزان الحكمة: محمد الريشهري، دار الحديث، قم، ١٤٢٢هـ.